Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب

جمع وتخريج ودراسة

حسن أحمد الأشلم

قسم اللغة العربية– كلية التربية– جامعة مصراتة

hassan.alashlm67@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث التخريجي إلى الاستفادة من أهم ما توصل إليه علم التخريج في حقل الكتاب المجموع، في دراسة شعر قبيلة قريش، وتحديداً شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب؛ بغية الإسهام في تخريج شعر هذه القبيلة، المؤثرة في الحياة العربية، فهي جزء مهم من هذه الحياة؛ أدبياً وشعرياً.

سار العمل في هذا البحث على مسارين؛ الأول: اختص بتخريج الأشعار وفق منهج محدد الخطوات تم تفصيل مساره وأهدافه في القسم المسمى منهج التخريج. أما المسار الآخر فتصدى إلى قراءة شعر أبي سفيان بن الحارث، كونه يمثل كماً ونوعاً قابلاً لإقامة قراءة تخرج ببعض الملاحظات المتعلقة بقيمة هذا الشعر المجموع موضوعياً وفنياً؛ وبخاصة في مستوى القضايا التي تناولها هذا الشعر، والحالات الشعورية التي تسربت من تفاعل الشاعر مع هذه القضايا، وكذلك بعض المحاور الفنية في هذا الشعر على مستويات: اللغة الشعرية، والصورة، والإيقاع.

الكلمات المفتاحية:

أبوسفيان ابن الحارث ين عبدالمطلب، شعر، جمع، تخريج، دراسة.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

The poetry of Abu Sufyan bin Harith bin Abdul Muttalib Collection, graduation and study

Abstract

This research seeks to take advantage of the most important findings of the science of graduation in the field of the total book, in the study of the poetry of the Quraish tribe, specifically in the study of the poetry of Abusfian bin Harith bin Abdul Muttalib; in order to contribute to the graduation of the poetry of this tribe, influential in Arab life, Important of this life; literary and poetic.

The work in this research was conducted on two tracks. The first was to specialize in the graduation of the poems according to a specific course of action whose course and objectives were detailed in the section entitled graduation curriculum. The other track addresses the reading of the poetry of Abu Sufyan bin al-Harith, as it represents a kind and kind of capable of establishing a reading that gives some observations on the value of this poetry, the total objectively and artistically, especially in the level of issues dealt with this poetry and poetic cases leaked from the interaction of poets with these issues, Some of the artistic axes in this poetry are on levels: poetic language, image, rhythm.

key words: Abu Sufyan Ibn al-Harith bin Abdul Muttalib, poetry, collection, graduation, study.

المقدمة

تحاول هذه الدراسة الاستفادة من التراكم المعرفي في مجال علم التحقيق، الذي بلغ ذروته الدراسات العربية الحديثة في منتصف خمسينيات القرن الماضي، وبلغ أنضج صوره الأكاديمية منذ مطلع السبعينيات حين تجاوزت الجامعات العربية مرحلة البحث والتحقيق في الكتاب المخطوط والتفتت إلى الكتاب المفقود، سواء أكان الفقد حقيقياً أم افتراضياً؛ أي بضياع دواوين الشعر، أو البحث عن هذا الشعر الذي لم ينتظم في ديوان، وذلك بجمع الشعر وتخريجه من المصادر التراثية المختلفة، وإعادته إلى الحياة من جديد؛ باعتباره كتاباً مجموعاً يقف إلى جانب الكتاب المحقق على قدم المساواة في الأهمية.

وفي هذا السياق جاء هذا البحث التخريجي محاولاً الاستفادة من أهم ما توصل إليه علم التخريج في حقل الكتاب المجموع، في دراسة شعر قبيلة قريش، وتحديداً في دراسة شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب؛ بغية الإسهام في تخريج شعر هذه القبيلة، وهو جهد ليس بالهين ويحتاج إلى تضافر الجهود من أجل القيام به، خاصة في ظل بعض التوجهات التي لا ترى قيمة كمية أو فنية لشعر قبيلة قريش، (اسليم، 1997م) الأمر الذي يعطي للبحث في هذا المضمار قيمة أكبر من أجل رد الأمور إلى نصابها الصحيح فيما يتعلق بشعر هذه القبيلة المؤثرة في الحياة العربية، فهي جزء مهم من هذه الحياة أدبياً وشعرياً، ولا يمكنها أن تنفصل عن هذا المحيط مهما كانت المبررات.

سار العمل في هذا البحث على مسارين الأول: اختص بتخريج الأشعار وفق منهج محدد الخطوات تم تفصيل مساره وأهدافه في القسم المسمى منهج التخريج، أما المسار الآخر فتصدى إلى قراءة شعر أبي سفيان بن الحارث، كونه يمثل كماً ونوعاً قابلاً لإقامة قراءة تخرج ببعض الملاحظات المتعلقة بقيمة هذا الشعر المجموع موضوعياً وفنياً، وبخاصة في مستوى القضايا التي تصدى لها هذا الشعر والحالات الشعورية التي تسربت من تفاعل الشاعر مع هذه القضايا، وكذلك بعض المحاور الفنية في هذا الشعر على مستويات: اللغة الشعرية، والصورة، والإيقاع. وختم البحث بخلاصة أوضحت أبرز النتائج التي تم التوصل إليها؛ في كل من: التخريج، والقراءة الموضوعية الفنية.

التعريف بالشاعر

أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي القرشي، وقيل بأن اسمه المغيرة، وقيل أيضا بأن المغيرة أخوه، وأن أباسفيان هو اسمه وليست كنيته، ولعله الأقرب فهوالمشتهر به. أبوسفيان بن الحارث أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية. كان قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم في صباه، لكن حينما ظهرت الدعوة إلى الإسلام أظهر أبو سفيان العداء للرسول وللمسلمين؛ فكان من بين شعراء قريش الذين هجوا الرسول وهو الذي قصده حسان بن ثابت بقوله:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

ظل أبوسفيان على هذا الحال إلى أن قويت شوكة الإسلام، وعلم بتحرك المسلمين لفتح مكة، فخرج ليقابل الرسول في الطريق إليها، فأشهر إسلامه؛ وشهد فتح مكة، وشارك في يوم حنين، وأبلى فيه بلاء حسنا، وكان من الفئة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة.

حسن إسلام أبي سفيان، وكانت له مكانته عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال عنه: (أبوسفيان بن الحارث سيد فتيان أهل الجنة) وقال فيه أيضا: (أبوسفيان أخي، وخير أهلي، وقد عقبني الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث)؛ فكان يقال له بعد ذلك: (أسد الرسول)، توفي سنة 20 هـ على أرجح الروايات، ودفن بالمدينة المنورة، وصلى عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (ابن حجر، 2008م، **والبلاذري**، د.ت، والزركلي، 1980م،).

منهج التخريج

بعد البحث في عدد من كتب التراث التي تمكنت من الاطلاع عليها، قمت بجمع كم من شعر أبي سفيان بن الحارث وفق المنهج الآتي:

1- رجعت إلى كتب التراث التي احتوت مجموعات شعرية في شتى المجالات؛ كاللغة، والأدب، والتاريخ، وعلم الحديث، والسير، ومعاجم البلدان، والأفراد؛ وقمت بجمع الشعر منها؛ سواء في شكل قصائد أم في شكل مقطعات وأبيات وأراجيز.

2- رتبت الشعر حسب طول النص، وجعلت الأرجوزة في أخر الشعر، وفي حال تساوي عدد الأبيات قمت بترتيبها حسب حرف الروي.

4- حاولت جعل التخريج وافياً على قدر ما توفر لي من مصادر تمكنت من الاطلاع عليها، وتوقف البحث في المصادر التراثية حتى نهاية القرن العاشر الهجري.

5- اعتمدت المصدر الذي جمع أكبر قدر من الأبيات أصلاً في التخريج، بغض النظر عن قدمه ثم أتبعته بالمصادر حسب ترتيبها التاريخ الأقدم ثم الذي يليه في الترتيب الزمني.

6- ألحقت البيت أو الأبيات المتشابهة ببعضها وفقاً للقرينة العروضية على مستوى الوزن والقافية، أو وفقاً للقرينة الموضوعية لاتساقها مع بعضها في الموضوع ذاته.

7- قابلت بين الروايات وأثبت الخلاف بينها، وقمت بفصل الأبيات التي اختلفت روايتها بقرينة إيقاعية أو موضوعية، تاركاً لدراسات قادمة البحث فيها بعمق أكثر.

8- قمت بذكر المصادر التي اختلفت مع المصادر التي اطلعت عليها، وقمت بنسبة بعض الأبيات لغير الشاعر محل التخريج.

9- ضبطت الأبيات بالشكل، وبالقدر الذي يزيل الغموض عنها.

10- شرحت المفردات المبهمة والمستغلقة، وعرفت بالأعلام والأماكن، ورجعت في ذلك إلى معاجم اللغة، وكتب البلدان والأعلام، والشروح القديمة.

11- وضعت عنواناً لكل نص مجموع سواء أقصر أم طال، على أن يكون العنوان مستنبطاً من مضمون النص، كما ذكرت المناسبة التي قيل فيها سواء ما توفر منها في المصادر بشكل مباشر، أو ما حاولت استنباطه من هذه المصادر.

تخريج شعر: أبي سفيان بن الحارث

في رثاء الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(من الوافر)

1- أَرِقْتُ وبَاتَ لَيْلِي لا يَزُولُ وليلُ أخِي المصيبةِ فيهِ طُولُ

2- وَأَسْعَدَنِي البُكاءُ وَذَاكَ فيمَا أُصِيبَ المسْلِمُونَ بهِ قَليلُ

3- فَقَدْ عظُمتْ مُصِيبَتُنا وجَلَّتْ عَشيَّةَ قِيلَ قدْ قُبضَ الرَّسُولُ

4- فَظَلَّ النَّاسُ مُنْقطِعِين فِيهَا كَأنَّ الناسَ ليسَ لهُمْ حَوِيْلُ

5- كأنَّ الناسَ إذْ فقدوهُ عُمْيٌ أضرَّ بلُبِّ حَازِمِهِمْ عَليلُ

6- وحُقَّ لتلك مرْزيةٌ علينَا وحُقَّ لهَا تطِيرُ لهَا العُقُولُ

7- وتصبِحُ أرضُنا ممَّا عَرَاهَا تكادُ بنا جوانبُهَا تَمِيلُ

8- فَقدْنا الوحْيَ والتنزيلَ فينا يرُوحُ بهِ ويغْدُو جِبرُئِيلُ

9- وذاكَ أحَقُّ ما سَالتْ عَلَيهِ نُفوسُ النَّاسِ أو كَرَبَتْ تَسيلُ

10- أُصبْنا بالنَّبِيِّ وقدْ رُزِئنا مُصيبتَنَا فَمحْملُهَا ثَقِيلُ

11- نبِيٌّ كانَ يجْلو الشَّكَ عنَّا بِمَا يُوحَى إليهِ وما يقولُ

12- ويهْدِينَا فلا نخشَى ضلالاً علينا والرسولُ لنَا دَليلُ

13- يُخَبِّرُنا بظَهْرِ الغَيْبِ عمَّا يكُونُ فلا يخُونُ ولا يَحُولُ

14- فلمْ نرَ مِثْلهُ في الناسِ حيّاً وليسَ لهُ مِن المَوتَى عَدِيلُ

15- أفاطمُ إنْ جَزِعتِ فذاكَ عُذْرٌ وإنْ لمْ تَجْزَعِي فَهْوَ السَّبيلُ

16- فَعُوذِي بالعزاءِ فإنَّ فيهِ ثوابَ اللهِ والفضلُ الجَزِيلُ

17- وقُولِي في أبيكِ ولا تَمَلِّي وهلْ يَجْزِي بفعْلِ أبيكِ قِيلُ

18- فَقَبْرُ أبيكِ سيِّدُ كلِّ قبْرٍ وفيهِ سيِّدُ الناسِ الرسولُ

19- صلاةُ اللهِ منْ ربٍّ رحيمٍ عليهِ لا تَحُولُ ولا تَزُولُ

** **المناسبة**: قالها في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

1- **أرقت**: الأرق قلة النوم.

2 – **حويل**: الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف.

3 – **عراها**: أصابها.

4- **عديل**: مكافئ ومساوٍ له.

التخريج

1- (الدمشقي، 2002م، ص.203-205).

2- (الأصبهاني، 1985م، الجزء 3، ص. 509). الأبيات:1، 3، 4-5، 11-18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الرابع برواية: فكل الناس منقطعون فيها. البيت الخامس برواية: إذ فقدوه عمياً...بلب حازمهم. البيت الثالث عشر: فلا يجور ولا يحول. البيت الرابع عشر برواية: ولم تر مثله. البيت الخامس عشر برواية: فذاك عذراً. البيت السادس عشر برواية: فعودي (بدال مهملة). البيت السابع عشر برواية: وهل يُخزْى بفعل أبيك.

3- (ابن عبدالبر، د.ت، الجزء 4، ص.1675-1676). الأبيات: 1-3، 7-9، 11-12، 15، 18.البيت الأول برواية: فبات ليلي، البيت الثاني برواية: فأسعدني البكاء، البيت الثالث برواية: لقد عظمت، البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع برواية: أو كادت تسيل. البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

4- (السهيلي، 1978م، الجزء 4، ص. 275). الأبيات: 1- 3، 7-9، 11- 12، 15-18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت الخامس عشر: ذاك السبيل.

5- (التادلي، 1991م، الجزء 2، ص. 786-787). الأبيات:1-3، 7-9، 11-12، 15، 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثاني برواية: وذاك مما. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع برواية: أو كادت تسيل. البيت الثاني عشر برواية: فلا تخشى ضلالاً. البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

6- (الجزري، 1994م، الجزء 6، ص. 143). الأبيات:1-3، 7-9، 11- 12، 14- 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت السادس: أو كادت تسيل.

7- (البصري، 1999م، الجزء 2، ص. 440). الأبيات: 3، 7- 9، 15، 18. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع برواية: وذاك أحق ما ذهبت عليه نفوس الناس أو كربت تزول.

البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

8- (ابن سيد الناس، 1982م، الجزء 2، ص. 424). الأبيات: 1- 3، 7-9، 11-12، 15، 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي، البيت الثالث برواية: لقد عظمت، البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت الثاني عشر برواية: ولا نخشى ضلالاً. البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

9- (الشيباني، 1982م، الجزء 2، ص. 756). الأبيات:1- 3، 7-9، 11- 12، 15- 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع برواية: أو كادت تسيل. البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

10- (الذهبي، 1990م، الجزء 3، ص. 219). الأبيات:1- 3، 8- 9، 11- 12، 14- 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت التاسع برواية: كادت تسيل.

11- (الذهبي، 1982م، الجزء 1، ص. 204-205). الأبيات:1-3، 8-9، 11-18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت التاسع برواية: نفوس الخلق. البيت السادس عشر برواية: فعودي (بالدال المهملة). البيت السابع عشر برواية: بفضل أبيك.

12- (ابن كثير، 1985م، الجزء 7، ص. 106). الأبيات:1-2-3، 7-8-9، 11-12، 15-18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت الخامس عشر برواية: ذاك السبيل.

13- (ابن كثير، 1978م، الجزء 2، ص. 558-559). الأبيات: 1-3، 7-9، 11-12، 15، 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع: أو كادت تسيل. البيت الخامس عشر: ذاك السبيل.

14- (ابن حجر، 2008م، الجزء 12، ص. 305)، البيت 3؛ برواية: لقد عظمت...، و: قد مات الرسول.

15- (الأبشيهي، 1999م، الجزء 3، ص. 339-340). الأبيات:1- 3، 7-9 ،11-12، 15، 18. البيت الأول برواية: فبات ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت مصيبتنا. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت التاسع برواية: أو كادت تسيل.

16- (القسطلاني، 1928م، الجزء 2، ص. 495). الأبيات: 1-3، 7-9، 11-12، 15، 18. البيت الأول برواية: فبت ليلي. البيت الثالث برواية: لقد عظمت. البيت السابع برواية: وأضحت أرضنا. البيت الثامن برواية: ويغدو جبريل. البيت التاسع برواية: أو كادت تسيل.

الرد على حسان ثابت بعد يوم بدر

(من الطويل)

1- أَحسَّانُ إِنَّا يَا ابن آكِلَةِ الفَغَا وَجَدِّكَ نغْتالُ الخُرُوقَ كذَلكِ

2- خرجنَا وما تنْجُو اليعافيرُ بَيْنَنَا ولوْ وَأَلَتْ منَّا بِشدٍّ مُداركِ

3- إذَا مَا انْبعثْنَا منْ مُناخٍ حَسبْتهُ مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعاركِ

4- أقمتً على الرَسِّ النَّزُوعِ تُريدُنَا وتترُكَنَا في النخلِ عندَ المَداركِ

5- علَى الزَّرعِ تمشِي خيلُنا وركِابُنا فمَا وطِئتْ ألصفْنهُ بالدَّكَادكِ

6- أقمْنَا ثلاثاً بينَ سَلْعٍ وفَارعٍ بجُردِ الجيادِ والمطِيّ الرَّواتكِ

7- حسِبتُمْ جِلادَ القَومِ عندَ قِبابِهِمْ كمأْخذكُمْ بالعَينِ أرْطَالَ آنِكَ

8- فلا تبْعثِ الخيلَ الجيادَ وقُل لهَا على نحْو قَولِ المعصِمِ المتمَاسِكِ

9- سعِدتُمْ بِهَا وغيرُكمْ كانَ أهلَهَا فوارسُ من أبناءِ فهرِ بن مالكِ

10- فإنَّكَ لا في هِجْرة إنْ ذكرْتَهَا ولا حُرُمَاتِ الدِّين أنْتَ بنَاسِكِ

المناسبة: قال أبوسفيان هذه القصيدة معارضاً بها قصيدة لحسان بن ثابت قالها في يوم بدر.

1 – **الفغا:** هو غبرة تعلو البسر قبل أن ينضج ويصبح رطباً. **الخروق:** جمع خرق، وهو الفلاة الواسعة.

2 – **اليعافر:** جمع يعفور وهو ولد الظبية. **وألت:** لجأت واعتصمت. **الشد:** الجري. **المدارك:** المتتابع.

3 – **المدمن:** الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون الدمن، أي آثار الدواب والإبل وأرواثها وأبعارها. أهل الموسم: الحجاج. المتعارك: الذي يزدحم فيه الناس.

4– الرس النزوع: البئر التي تنزع ماؤها بالأيدي. **المدارك:** المواضع القريبة.

5 – **الدكادك:** جمع دكداك وهو الرمل اللين.

6 – **سلع وفارع:** جبلان بالمدينة. **الرواتك:** المسرعة.

7 – **العين:** المال الحاضر، والعين أيضاً الرفقة من الإبل. **والأنك:** الأُسرف، وهو القزدير.

8 –**المعصم:** أعصم الرجل إذا تشدد واستمسك بسرج الفرس لئلا يسقط.

التخريج

1- (ابن هشام، 1998م، الجزء 3، ص. 167-168). الأبيات جميعها.

2- (ابن سلام، 1960م، الجزء 1، ص. 249). البيتان: 7- 9 ، وبتقديم التاسع على السابع. والبيت السابع برواية: حسبتم جلاد البيض حول بيوتكم كأخذكم في العير. البيت التاسع برواية: شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها.

3- (ابن دريد، 1979م، ص. 477). البيت: 1، والبيت برواية: لعمرك نغتال الحروب.

4- (ابن دريد، 1987م، الجزء2، ص. 1081). البيت:1، والبيت برواية: لعمرك نغتال الحروب.

5- (السهيلي، 1978م، الجزء 3، ص. 249-250). الأبيات جميعها، البيت السادس برواية:والمطي والرواتك.

6- (ابن كثير، 1985م، الجزء 3، ص. 90). الأبيات جميعها. البيت السابع برواية: عند فنائكم. البيت العاشر برواية: ولا حرمات دينها.

7- (ابن كثير، 1978م، الجزء 2، ص. 170-171. الأبيات جميعها. البيت السابع برواية: عند فنائكم. البيت العاشر برواية: ولا حرمات دينها.

في الاعتذار وطلب الصفح

(من الوافر)

1- لعمْرِكَ إنّي يومَ أحمِلُ رايةً لِتغلبَ خيلُ اللّات خيلَ محمدِ

2- لكالمدلجِ الحيرانِ أظْلَمَ ليلُهُ فهذَا أوانِي حينَ أُهْدَى وأَهْتدِي

3- هدَانِي هادٍ غَير نفسي ونالَني معَ الله منْ طرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ

4- أصُدُّ وأنْأَى جَاهِداً عنْ محمدِ وأُدْعَى وإنْ لمْ أنتسبْ من محمدِ

5- همُ ما همُ من لم يقُلْ بهَواهمُ وإنْ كانَ ذا رأيٍ يَلمْ ويفْنَد

6- أريدُ لأُرضِيهم ولستُ بلائطٍ معَ القومِ ما لمْ أُهدَ في كلِّ مقْعدِ

7- فقُلْ لثقيفٍ لا أريدُ قِتالَها وقلْ لثقيفٍ تلكَ: غَيري أوْعِدي

8- فمَا كنتُ في الجيشَ الذي نالَ عامراً ومَا كانَ جَراً لسانِي ولا يَدِي

9- قبائلُ جاءتْ من بلادٍ بعيدةٍ نزائعُ جاءتْ من سِهام وسَرْدَدِ

* **المناسبة:** القصيدة قيلت عن قدومه على الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه، وفيها يعتذر عن معاداته للرسول والإسلام في الجاهلية.

1 – **طردت:** التنحية والإبعاد.

2 – **يفند:** أي يلام ويكذب.

3 – **لست بلائط:** أي لست بملصق، يقال لاط بقلبي أي لصق به.

4 – **أوعدي:** هددي.

5 – **جراً:** جراء، وهي الجر الجناية.

6 – **نزائع**: غرباء. **سهام وسردد**: واديان في اليمن من أرض زبيد.

التخريج

1- ابن إسحاق، 1999م، الجزء 2، ص. 522-523. الأبيات جميعها.

2- ابن هشام، 1998م، الجزء 4، ص. 16. الأبيات جميعها، ويذكر أن ثمة رواية أخرى للبيت الثالث:(ودلني على الحق من طردت كل مطرد).

3- ابن سعد، 1960م، الجزء 4، ص. 51. الأبيات:1-4،البيت الثاني برواية: فهذا أواني اليوم أهدى وأهتدي، والبيت الثالث برواية: ودلني على الله من طردت، والبيت الرابع برواية: وإن لم أنتسب بمحمد.

4- الجمحي، د.ت، الجزء 1، ص. 247. الأبيات: 1-3. البيت الثاني برواية: فهذا أوانُ أهدى، البيت الثالث برواية: وقادني إلى الله من طردت.

5- المرزباني، 2005م، ص. 321. الأبيات: 1- 3، البيت الثالث وقادني إلى الله من طردت.

6-البيهقي، 1985م، الجزء 5، ص. 28. الأبيات جميعها- البيت السابع برواية: لا أريد قتالكم، البيت الثامن برواية: عن جري لساني.

7- ابن عبد البر، د.ت، الجزء 4، ص. 1674-1675. الأبيات:1-4، البيت الثاني الصدر برواية: لك المظلم الحيران، والعجز برواية: أهدى فأهتدي. البيت الثالث برواية: ودلني على الله من طردته.

8-السهيلي، 1978م، الجزء 4، ص. 89. الأبيات جميعها- البيت الثامن برواية: وما كان عن جرا لساني.

9- ابن الأثير، 1965م، الجزء 2، ص. 243. الأبيات:1-3.

10- ابن الأثير، 1994م، الجزء 6، ص. 142. الأبيات:1- 4. البيت الثاني الصدر برواية: لكا لمظلم الحيران، والعجز برواية: أهدى فأهتدي. البيت الثالث ودلني على الله من طردت.

11- ابن سيد الناس، 1982م، 218/2. الأبيات:1-2- 3. البيت الثاني برواية: أهدى فأهتدي. البيت الثالث برواية: ودلني على الله من طردت.

12–الذهبي، 1990م، الجزء 2، ص. 536. الأبيات:1– 4. البيت الثالث برواية: ونالني إلى الله من طردت.

13–ابن كثير، 1985م: الجزء 3، ص. 286. الأبيات جميعها. البيت الثالث برواية: هذا بي هاد غير نفسي. البيت الخامس برواية: هموا ما هموا من لم يقل. البيت السابع برواية: وقل لثقيف تلك عِيريَ أوعِدي. البيت الثامن برواية: الذي نال عامرٌ وما كان عن جريٍ لساني.

14– ابن كثير، 1978م،الجزء 2، ص. 544. الأبيات جميعها. البيت الثامن برواية: ولا كان عن جرًا لساني ولا يدي.

15– ابن حجر، 2008م، الجزء 12، ص. 304، البيتان: 1– 2.

16– البلاذري، د.ت، الجزء 4، ص. 1815. البيتان: 1– 2، البيت الثاني برواية: اليوم أهدي وأهتدي.

الرد على حسان في يوم بني قريظة

(من الوافر)

1– يعِزُّ على سُراةِ بني لؤيٍّ حريقٌ بالبُويرةِ مُسْتطيرُ

2– أدامَ اللهُ ذلكَ منْ صنيعٍ وحرَّقَ في طَوائِفِهَا السَّعيرُ

3– ستَعْلمُ أيُّنَا منْها بنُزْهٍ وتعلمُ أيُّ أرْضينَا تَضِيرُ

4– فلوْ كانَ النخيلُ بها رِكاباً لقالوا: لا مُقَامَ لكُمْ فسِيرُوا

*قال أبو سفيان هذه الأبيات يرد مهدداً حسان بن ثابت، ومناقضاً له في فخره بيوم بني قريظة.

1– **سراة**: سراة القوم أشرافهم. **بنو لؤي**:نسبة إلى لؤي بن غالب بن فهر، وإليه ينتمي فرع من فروع قريش. **البويرة**: هو موضع منازل يهود بني النضير.

2– **الطوائف**: النواحي. **السعير**: النار الملتهبة.

3– **النزه**: البعد، يقال يتنزه عن الأقذار؛ أي يباعد نفسه عنها.

التخريج

1- ابن هشام، 1998م، الجزء 3، ص. 227. الأبيات:2- 4.

2- البخاري، 1980م، الجزء 5، ص. 113. البيتان: 2-3. البيت الثاني برواية:حرق في نواحيها.

3- السهيلي، 1978م، الجزء 3، ص. 295. الأبيات 2-4. البيت الثاني برواية:حرق في طرائقها.

4- الحموي، 1977م، الجزء 1، ص. 512. البيت: 1 . وهذا البيت ذكرته بقية المصادر لحسان، لكن مع تغيير كلمة (لهان) بـ(يعز) في مطلع البيت، وهنا يمكن أن يكون البيت لأبي سفيان من قبيل المعارضة، وهذا ما سوغ وضعه في مطلع الأبيات.

5- ابن سيد الناس، 1982م،الجزء 2، ص. 71. البيتان:2-3. البيت الثاني برواية: وحرق في نواحيها السعير.

6- ابن كثير، 1985م، الجزء 3، ص. 139. الأبيات: 2-4. البيت الثاني برواية: وحرق في نواحيها. البيت الثالث برواية: أينا منها بستر. البيت الرابع برواية: قد كان النخيل.

7- ابن كثير، 1978م: الجزء 2، ص. 259 -260. الأبيات: 2-4.

الفخر بالثبات يوم حنين

(من الطويل)

1- لقدْ علمِتْ أفناءُ كعبٍ وعامرٍ غداةَ حُنينٍ حينَ عمَّ التَّضعضُعُ

2- بأنِّي أخو الهيجاءِ أركبُ حدَّهَا أمامَ رسولِ اللهِ لا أتَتَعْتعُ

3- رجاءَ ثوابِ اللهِ واللهُ واسعٌ إليهِ تعَالَى كلُّ أمرٍ سيرْجِعُ

المناسبة: قال هذه الأبيات يوم حنين، ويومها ثبت هو وقلة من المسلمين مع الرسول صلى الله عليه سلم.

1– **أفناء**: الأخلاط وأفناء القبائل أي لا يدرى من أي قبيلة هو. **كعب وعامر**: هم بنوكعب، وبنوعامر، وهما الفرعان الرئيسيان في قبيلة هوازن التي واجهت المسلمين يوم حنين. **حنين**: واد قريب من مكة، وقيل هو واد قبل الطائف، **التضعضع**: الذل والخضوع.

2 – **الهيجاء**: الحرب بالمد والقصر لأنها موطن غضب، **أتتعتع**: القلق والتردد.

التخريج

1- (ابن سعد، 1960م، الجزء 4، ص. 53)

(6)

في الفخر بالعشيرة

(من الوافر)

1- لقدْ علِمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ بأنَّا نحْنُ أجودُهمْ حِصانا

2- وأكثرهم دُروعاً سابغاتٍ وأمضاهم إذا طعنوا سِنانا

3- وأدفعُهمْ لدى الضراءِ عنهمْ وأبْيَنُهمْ إذا نَطقُوا لسانا

1 – **سابغات**: الدرع السابغة التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولا وسعة.

التخريج:

1- (ابن عبد البر، د.ت، الجزء 4، ص. 1676). الأبيات جميعها.

2- (ابن سيد الناس، 1982م، الجزء 2، ص. 376). الأبيات جميعها.

وقال مفتخراً

(من الطويل)

1- فإنَّ لنَا شيخاً إذا الحربُ شمَّرتْ بَديهتُهُ الإقْدامُ قبلَ التَزاحفِ

2- أخُو الحربِ قدْ عضَّتْ بهِ فتفللتْ نواجذُ منْ أنيابِها في المزاحفِ

المناسبة: استشهد البلاذري بهذين في غير مناسبتهما، ويبدو أنهما قيلا في الفخر بالعشيرة .

1 – **بديهته:** أول كل شيء وما يفجأ منه.

2 – **نواجذ:** النواجذ هي أقصى الأضراس، وقيل بطن الوادي.

التخريج

1- (البلاذري، د.ت، الجزء 4، ص. 1773).

(8)

في هجاء حسان بن ثابت

(من الطويل)

1- أبوكَ أبُو سَوءٍ وخَالُكَ مثْلُهُ ولستَ بخيرٍ منْ أبيكَ وخَالِكَا

2- وإنَّ أحقَّ الناسِ أنْ لا تلُومهُ على اللؤمِ منْ ألفَى أبَاهُ كَذلِكا

المناسبة: قالها في هجاء حسان بن ثابت والرد عليه.

1 – أبوهلال العسكري نسب البيتين إلى حسان بن ثابت. (العسكري، 1933م، 1/ 182)، و(العسكري، 1988م، 2/ 244).

التخريج

1- (الجمحي، د.ت، الجزء 1، ص. 250.)

2- (المرزباني، 2005، ص. 231). البيتان كلاهما. والبيت الثاني برواية:

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

ويذكر أن البيتين ينسبان إلى فرات بن حيان أيضاً.

3- (البلاذري، د.ت، الجزء 4، ص. 1815.) البيت:1.

(9)

وقال: يهجو حسانا

(من الطويل)

1- ألاَ مُبلِغٌ حسَّانَ عنّي رسالةً فخِلتُكَ منْ شرِّ الرِجَالِ الصَعَالكِ

2- أبُوكَ أبُو سَوءٍ وخالُك مثلُهُ فلستَ بخيرٍ منْ أبيكَ وخالكِ

المناسبة: في هجاء حسان بن ثابت والرد عليه.

– القافية المكسورة، وعدم ورود البيت الأول في بقية المصادر أعطى احتمال انفصالهما؛ إما من الشاعر أو من الراوي.

التخريج

1- (الواقدي، د.ت، الجزء 2، ص. 806.).

(10)

في الفخر

(من الطويل)

1- وإنَّ لنَا شيخاً إذا الحربُ شمَّرتْ بَديهتُهُ الإقْدامُ قبلَ النوافرِ

التخريج

1- (الطبري، 1997م، الجزء 4، ص. 461).

2- (ابن عساكر، 1996م، الجزء 7. ص. 40).

(11)

الفخر بالثبات يوم حنين

(من الرجز)

أ. (رواية ابن حجر)

1- إني ابن عم المرء من أعمامه بني أبيه قوة من قدامه

2- فإن هذا اليوم من أيامه يقاتل الحرمي عن إحرامه

3- فقاتل المسلم عن إسلامه وقاتل الحربي لأهضامه

4- فإنما النجدة في إقدامه والعار والسبة في استسلامه

ب- (رواية البلاذري)

1- بَنُوْ أبيهِ اليومَ منْ أمامهِ

2- ومنْ حواليهِ ومنْ أهضامهِ

3- فقاتلَ المسلمُ عنْ إسلامهِ

4- وقاتلَ الحرميُّ عنْ إحرامهِ

المناسبة: قال هذه الأبيات يوم حنين، ويومها ثبت هو وقلة من المسلمين مع الرسول صلى الله عليه سلم .

– **أهضام**: المطمئن من الأرض وقيل بطن الوادي.

– **الحرمي**: نسبة إلى الحرم.

التخريج:

1- ابن حجر، 2008م، الجزء 12، ص. 305.

2- البلاذري، د.ت، الجزء 1، ص. 464.

قراءة في شعر: أبي سفيان بن الحارث

5–1: القراءة الموضوعية

"**ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل**". (الجمحي، د.ت، الجزء 1، ص.247)

"**وقال أبو سفيان بن الحارث في يوم حنين أشعاراً كثيرة تركناها لكثرتها**". (ابن سعد، 1960م، الجزء 4، ص. 52)

يمهد ما ذكره كل من ابن سلام وابن سعد إلى تأكيد انتفاء الخلاف حول شعر أبي سفيان بن الحارث كماً وكيفاً، لكن يبقى التساؤل عالقاً حول سبب ندرة ما وصلنا من شعر هذا الشاعر، وفي هذا السياق يمكن إرجاع الأمر إلى سببين الأول عام والآخر خاص؛ في المستوى العام نجد سبب هذه الظاهرة متصلاً بالشعر العربي في الجاهلية والإسلام، حيث ضاع معظمه لعوامل دينية وسياسية، أما الخاص فيتصل

بأبي سفيان نفسه؛ فالنماذج التي وصلت من شعره تدل على مجيء الجانب الكبير منه في سياق المعركتين السياسية والدينية، التي دارت رحاها بين المسلمين والمشركين؛ حيث انحاز أبوسفيان إلى معسكر شعراء المشركين؛ الأمر الذي جعل تداول هذه الأشعار في المراحل اللاحقة أمراً بالغ الحساسية، لما احتوته من مواقف تمس مرتكزات العقيدة وتسئ إلى بعض رموزها، ولكونها –في نهاية المطاف– ستسيء إلى الشاعر نفسه بعد أن أعلن إسلامه.

وإذا ما عدنا إلى تأمل شعر أبي سفيان في المستوى الموضوعي لوجدناه يتركز حول الذات (الشاعر)، وهي في مواقف انفعالية مختلفة، ومن هذه الزاوية يكشف تفاعل الذات مع الشخصيات والقضايا عن الحالة الشعورية التي كانت تمر بها وتتفاعل معها في تلك المرحلة الحساسة، وذلك وفق التوجهات الآتية:

1– الذات في موقف الصدام (أبوسفيان/ حسان بن ثابت):

اختزلت الرواية تلك المساحة الواسعة من الصدام الشعري المسلمين والمشركين في الصدام بين أبي سفيان بن الحارث وحسان بن ثابت، وغيرهما من الشعراء، وليس أدل على ذلك من ورود نص واحد احتوى عشرة أبيات، أما الباقي فعبارة عن مقطعات قصيرة، أو أبيات قليلة لم تتعرض بشكل واضح لعناصر الصراع بين المسلمين والمشركين، يقول أبو سفيان في مفتتح هذا النص:

أَحسَّانُ إِنَّا يَا ابن آكِلَةِ الفَغَا وَجَدِّكَ نغْتالُ الخُرُوقَ كذَلكِ

فهو لا يتعرض إلى الرسول الكريم أو المسلمين وإنما يتعرض إلى حسان؛ فيعيره بانتمائه إلى البيئة الزراعية، التي تميل إلى الركون والدعة، ولا تحبذ المغامرة والتنقل للحروب.(الجبوري، 1995م) ومن ثم يكمل الأبيات التسعة الباقية في الفخر الجماعي:

إِذَا مَا انْبعثْنَا منْ مُناخٍ حَسبْتهُ مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعاركِ

وما يدعم فرضية الانتقائية في الرواية أن بقية الأشعار المروية في هذا الموقف لم تتجاوز الأربعة أبيات، ما يدعم حقيقة أنها مقتطعات من قصائد أطول احتوت عناصر الصدام بين الطرفين في بعده الجمعي، لكن الذائقة الشعرية اكتفت بنقل الجزء المتعلق بالذات الفردية، الذي لا يتجاوز مقارعة حسان في نسبه ومكانته الاجتماعية:

أبوكَ أبُو سَوءٍ وخَالُكَ مثْلُهُ ولستَ بخيرٍ منْ أبيكَ وخَالِكَا

أو في شخصه:

ألاَ مُبلِغٌ حسَّانَ عنِّي رسالةً فخِلتُكَ منْ شرِّ الرِجَالِ الصَعَالكِ

أو الفخر بنصر عام لا يتعرض لتفاصيل القضية الدينية الحساسة:

أدامَ اللهُ ذلكَ منْ صنيعٍ وحرَّقَ في طَوائِفهَا السَّعيرُ

ستَعْلمُ أيُّنَا منْها بنُزْهٍ وتعلمُ أيُّ أرْضينَا تَضِيرُ

2– الذات في موقف الاعتذار: (أبوسفيان/ الرسول صلى الله عليه وسلم)

الذائقة الجماعية مثلما حصرت الصدام بين حسان وأبي سفيان تحولت في موقف الاعتذار إلى مرحلة ترميم الذات وتحريرها من المرحلة السابقة، وذلك يوم أعلن أبوسفيان إسلامه، وتراجع عن مرحلة الذات الصدامية، واستشرف مرحلة جديدة تبدأ من وقوف الذات أما ذات أخرى هي الرسول صلى الله عليه وسلم، لتوازن بين وضعها السابق ووضعها الراهن، (طليمات والأشقر، 2007م) وليصبح التفاعل بين: (أبي سفيان /الرسول صلى عليه وسلم)، ولذا فلا غرابة في ورود أبيات الاعتذار كاملة، كما أن المقارنة التي وضعتها الذات بين طرفي الصراع كانت استجابة طبيعية لنوازع الذات في تلك اللحظة، فجاء الرسول بديلاً أو رمزاً للإسلام؛ فخيل اللات وقفت في مرحلة ما في مواجهة خيل محمد(خيل الإسلام):

لعمْرِكَ إنِّي يومَ أحمِلُ رايةً لِتغلبَ خيلُ اللَّات خيلَ محمدِ

وهنا يكون مقام العودة والاعتذار؛ فتتكرس الحالة الشعورية بالعودة إلى ساحة الدين؛ ممثلة في فتح صفحة جديدة من العلاقة، وتجاوز المرحلة السابقة للعلاقة مع محمد صلى الله عليه وسلم:

أصُدُّ وأنْأَى جَاهِداً عنْ محمدٍ وأُدْعَى وإنْ لمْ أنتسبْ من محمدِ

3– الذات في موقف الاعتداد بالذات:(الفردية والجماعية)

انقسم الاعتداد بالذات إلى نمطين: الأول هو الاعتداد والفخر بالذات الفردية، الذي هو بقية من أثر الفخر الفردي الذي ساد في الجاهلية،(طليمات والأشقر، 2007م، 467) إنه اعتداد الذات

بذاتها، كالفخر بنفسه يوم حنين، لكنه اعتداد فردي داخل قضية عامة جسدها بالفخر بشجاعته بين يدي رسول الله:

لقدْ علمِتْ أفناءُ كعبٍ وعامرٍ غداةَ حُنينٍ حينَ عمَّ التَّضعضُعُ

بأنِّي أخو الهيجاءِ أركبُ حدَّهَا أمامَ رسولِ اللهِ لا أتَتَعْتعُ

أما الآخر فهو الاعتداد بالذات الجمعية التي لم تتجاوز العشيرة حيث جاء الاحتفاء أوالفخر بها في اليوم نفسه؛ فأبناؤها هم الذين وقفوا مع الرسول في ساعة العسرى يوم حنين :

بنو أبيه اليوم من أمامه

ومن حواليه ومن أهضامه

ونلمس هذا الفخر بالذات القبلية أو العشائرية في نماذج أخرى سواء بالتلميح:

فإنَّ لنَا شيخاً إذا الحربُ شمَّرتْ بَديهتُهُ الإقْدامُ قبلَ التَزاحفِ

أو التصريح حين يأخذ الفخر طابعاً جماعياً، (الجبوري، 1995م) فهم العشيرة الأبرز داخل قريش جوداً وإقداماً وفصاحة:

لقدْ علِمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ بأنَّا نحْنُ أجودُهمْ حِصانا

وأكثرهم دُروعاً سابغاتٍ وأمضاهم إذا طعنوا سِنانا

وأدفعُهمْ لدى الضراءِ عنهمْ وأثبتُهمْ إذا نَطقُوا لسانا

4– الذات في موقف الفقد والفجيعة:(أبو سفيان/وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم)

تشرع الذات في إظهار الفجيعة الكبرى بين الذات المفجوعة: (أبو سفيان)والذات المفجوع فيها: (الرسول صلى الله عليه وسلم). وهذا الطابع الثنائي الفردي لفجيعة الذات نلمسه في مطلع النص:

أَرِقْتُ وبَاتَ لَيْلِي لا يزُولُ وليلُ أخِي المصيبةِ فيهِ طُولُ

لكن من البيت الثاني تأخذ أزمة الذات طابع الفجيعة الجماعية؛ فهي ليست مأساة أبي سفيان بن الحارث وحده وإنما هي مأساة إنسانية تعم الناس جميعاً:

فَقَدْ عظُمتْ مُصِيبَتُنا وجَلَّتْ عَشيَّةَ قِيلَ قدْ قُبضَ الرَّسُولُ

فَظَلَّ النَّاسُ مُنْقطِعِين فِيهَا كَأنَّ الناسَ ليسَ لهُمْ حَوِيْلُ

ولتصبح مأساة كونية تعم الوجود بأسره:

وتصبِحُ أرضُنا ممَّا عَرَاهَا تكادُ بنا جوانبُهَا تَمِيلُ

ويعود بعد مرحلة الصدمة –التي جاوزت منتصف القصيدة– ليعدد أسباب هذه الفاجعة ممثلة في تبيان مآثر الفقيد، وهي معنوية مرتبطة بجوانب الدعوة التي اختص بها دون غيره؛ كونه صاحب الرسالة ممثلة في الهداية والإخبار بالغيبيات:

نبيٌّ كانَ يجْلو الشَّكَ عنَّا بِمَا يُوحَى إليهِ وما يقولُ

ويختتم النص بتركيز الذات على تعميق الإحساس بالفاجعة بنقلها إلى فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث يبرز بعدها العاطفي الأنثوي، و يوضح بعدها الفاجعي كونها الأحب والأقرب إلى قلب الرسول صى الله عليه وسلم؛ فيصبح البكاء وتركه مبررين لها:

أفاطمُ إنْ جَزِعتِ فذاكَ عُذْرٌ وإنْ لمْ تَجْزَعِي فَهْوَ السَّبيلُ

فَعُوذِي بالعزاءِ فإنَّ فيهِ ثوابَ اللهِ والفضلُ الجَزِيلُ

وقُولِي في أبيكِ ولا تَمَلِّي وهلْ يَجْزِي بفعْلِ أبيكِ قِيلُ

5–2: القراءة الفنية

إن الحكم المتكامل على جودة الصنعة الشعرية يتطلب وجود متن شعري يتوفر على عدد القصائد المكتملة، حتى يصبح بالإمكان إصدار حكم واضح على جودة الصنعة الفنية، لكن ومع ذلك فإن بالإمكان استشراف بعض من مظاهر الصنعة الفنية في شعر أبي سفيان متمثلاً في النماذج الشعرية التي وصلتنا والتي سيتم تتبع الجانب الفني فيها في مستويات: اللغة، والصورة، والإيقاع.

1– اللغة:

يعتمد الحكم على اللغة الشعرية –من حيث خصوصيتها ونوعيتها– على البيئة التي ينتمي إليها الشاعر، وكذلك نمط الموضوعات التي يقترب منها، وعلى جانب التخييل أو الصورة؛ كونها ذات خصوصية لغوية تعمق معجم الشاعر وتزيد في خصوبة اللغة الشعرية عنده، وهنا تبدو الكفة واضحة لصالح عدم

وجود خصوصية لغوية على مستوى البيئة والصورة؛ فضمور الصورة الشعرية، وحضرية الشاعر يدعم وجود معجم شعري يقترب من لغة الحياة اليومية الحضرية. (الجبوري، 1995م) وهذا ما نلمسه في عدد من النصوص، لكن النظر إلى نمط الموضوعات التي تصدت لها أشعار أبي سفيان بن الحارث، يكشف عن وجود تباين معجمي وتركيبي يمتد من الخصوبة التي تقارب لغة القصيدة الجاهلية المتينة، ليصل إلى درجة الوضوح والاستعمال التركيبي المباشر، الذي يقترب من لغة الحياة اليومية، وهذا التباين يخضع لتحولات الذات مع الشخوص والقضايا، فنجد اللغة الواضحة المباشرة في معجمها وتراكيبها في الموضوعات المتعلقة بالذات كما هو في موقف الاعتذار:

هدَانِي هادٍ غَير نفسي ونالَني مع الله منْ طرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ

أصُدُّ وأنْأَى جَاهِداً عنْ محمدٍ وأُدْعَى وإنْ لمْ أنتسبْ من محمدِ

وكذلك الأمر في موقف الذات أمام الفجيعة حيث الوضوح والانفعال المباشر مع الحدث المأساوي:

فَقَدْ عظُمتْ مُصِيبَتُنا وجَلَّتْ عَشيَّةَ قِيلَ قدْ قُبضَ الرَّسُولُ

فَظَلَّ النَّاسُ مُنْقطِعِين فِيهَا كَأنَّ الناسَ ليسَ لهُمْ حَوِيْلُ

كأنَّ الناسَ إذْ فقدوهُ عُمْيٌ أضرَّ بلُبِّ حَازِمِهِمْ عَليلُ

بينما نجد نمطاً من تلك اللغة الخاصة الرصينة في مستوى المعجم والتركيب؛ حين يكون الشعر متعلقاً بالذات في موقفي الصدام والفخر أو الاعتداد بالذات فيقول مخاطباً حسان:

أَحسَّانُ إنَّا يَا ابن آكِلَةِ الفَغَا وَجَدِّكَ نغْتالُ الخُرُوقَ كذَلكِ

خرجنَا وما تنْجُو اليعافيرُ بَيْنَنَا ولوْ وَأَلَتْ منَّا بِشدٍّ مُداركِ

إذَا مَا انْبعثْنَا منْ مُناخٍ حَسبْتهُ مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعاركِ

أقمتَ على الرَسِّ النَّزُوعِ تُريدُنَا وتتركُنَا في النخلِ عندَ المَداركِ

فعلى صعيد المعجم تبرز الرصانة في مصطلحات من قبيل :**الخروق** – **اليعافير**– **مناخ**– **مدمن**– **الرس**– **النزوع**. وهذه الخصوصية المعجمية تتضافر مع متانة العبارة وقوتها المتماهية مع الغرض الشعري بخصوصيتها الفعلية الدالة على الفعل والحركة: (**نغتال**، **خرجنا**، **تنجو**، **وألت**، **انبعثنا**، **حسبتهن أقمت**،

تريدنا ، تتركنا)؛ لتتكامل الدلالة بين الجملة والحالة الشعورية للشاعر، وهو يقارع شاعراً له خصوصيته الشعرية، فلابد أن يرتقي مستوى اللغة الشعرية إلى مستوى لغة الشاعر الآخر، وهذا ما يظهر في جل النماذج الأخرى التي جاءت في مقام الفخر والاعتداد بالذات:

لقدْ علِمتْ أفناءُ كعبٍ وعامرٍ غداةَ حُنينٍ حينَ عمَّ التَّضعضُعُ

بأنِّي أخو الهيجاءِ أركبُ حدَّهَا أمامَ رسولِ اللهِ لا أتَتَعْتعُ

2– الصورة:

النماذج الشعرية المتوفرة لشعر أبي سفيان بن الحارث تظهر ضمور الصورة الشعرية، ممثلة في حضور نادر للصور الجزئية، وغياب للصورة الشعرية الممدة، وهذا الغياب يمكن أن يبرر في عدم وصول نماذج متكاملة تمكن من الحكم على الصورة وصنعتها عند الشاعر؛ فأغلب النماذج هي من المقطعات أو الأبيات، ومن ثم فلم تتوفر النماذج المكتملة التي تمكن من معرفة طبيعة البناء والصنعة في شعر قريش، (اسليم،1997م)، ويضاف إلى ذلك إمكانية أن تكون الأغراض الشعرية وطبيعة المرحلة التي قيلت فيها قد فرضت خطاباً انفعالياً –الاعتذار، الهجاء، الرثاء، الفخر– وهذا الأمر يجعل الشاعر يهتم بتوصيل المضمون أكثر من العناية بالصنعة الشعرية سواء على مستوي العناية بالبعدين السردي والوصفي، أم على مستوى البعد التأملي لهذه اللغة، باعتبارهما المنتجين للصورة الشعرية. (رومية، 1979م) وثمة فرضية ثالثة لا ينبغي إغفالها وهي تلك المتعلقة بشخصية أبي سفيان نفسه، كونه من شعراء المواقف وليس من شعراء الصنعة؛ يدل على ذلك الضمور الواضح للصور الجزئية فما بالك بالصور الممدة.

وعند الوقوف على نماذج من هذه الصور الجزئية يتضح تأثرها في بنائها ودلالاتها بالموضوع الذي جاءت فيه؛ حيث جاءت الصور الجزئية في موضوعات الاعتذار والرثاء تقريرية مباشرة، وكأنها سيقت لتأكيد حكم، أكثر من إعطائه أبعاداً شعورية أعمق ومن ذلك قوله:

لعمْرِكَ إنِّي يومَ أحمِلُ رايةً لِتغلبَ خيلُ اللَّات خيلَ محمدِ

لكالمدلجِ الحيرانِ أظْلَمَ ليلُهُ فهذَا أوانِي حينَ أُهْدَى وأَهْتدِي

فالمقارنة المباشرة تبدو واضحة ومكررة في مصدرها وصنعتها ودلالاتها، (اسليم، 1997م) التي كرست الأمر المعنوي في قالب حسي. وكذا الأمر في تشبيه حال المسلمين يوم سماعهم نبأ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث الصورة المكرسة للتقريرية والمباشرة في التعبير:

كأنَّ الناسَ إذْ فقدوهُ عُمْيٌ أضرَّ بلُبِّ حَازِمِهِمْ عَليلُ

بينما تميل هذه الصورة إلى شيء من العمق الدلالي، ويظهر فيها أثر الصنعة الشعرية حين يتعلق الأمر بمقارعة حسان أو الفخر بالعشيرة؛ كما في تلك الصورة الجزئية التي حملت بعداً تمثيلياً مشهدياً لحركة الجيش حين قال:

إذَا مَا انْبعثْنَا منْ مُناخٍ حَسبْتهُ مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعارِكِ

وكذلك في تلك الصورة الاستعارية التي أضفى فيها على الحرب صفات التوحش، فهي في فعلها التدميري تشبه سطوة حيوان مفترس، أو أفعى سامة تفتك بأعدائها:

أخُو الحربِ قدْ عضَّتْ بهِ فتفللتْ نواجذُ منْ أنيابِها في المزاحفِ

3– الإيقاع:

تبدو البنية الإيقاعية الصوتية الداخلية العنصر الأبرز في شعر أبي سفيان بن الحارث، (الجبوري، 1995م). بحيث جاءت منسجمة مع التقريرية الانفعالية التحريضية في شعره، ولتغطي على ذلك الضمور الواضح في مستوى العناية بالصنعة على مستويي اللغة الشعرية والصورة الفنية، ويظهر هذا التنوع الإيقاعي الداخلي على عدة مستويات، من بينها تكرار الحرف الذي يتماهى مع الحالة الشعورية للشاعر في مقام الشجاعة والفخر كما هو في تكرار الضاد والعين أو التاء والعين في قوله: (**لا أتضعضع– لا أتتعتع**)، أو تكرار الكاف والباء في قوله:

أبوكَ أبُو سَوءٍ وخَالُكَ مثْلُهُ ولستَ بخيرٍ منْ أبيكَ وخَالِكَا

أو في تكرار الهاء، والميم المشبعة في قوله: (**همُ ما همُ من لم يقُلْ بهَواهمُ**).

أو تكرار الميم في قوله:

إذَا مَا انْبعثْنَا منْ مُناخٍ حَسبْتهُ مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعارِكِ

وإلى جانب تكرار الحرف نجد تكرار الكلمة ومنه تكرار كلمات مثل الله والناس: (**رجاء ثواب الله والله واسع**)، (**فظل الناس...كأن الناس ليس...كأن الناس إذ... نفوس الناس**).

ويبرز هذا التكرار أيضاً في تكرار التراكيب والجمل الذي يأخذ طابع التقرير أحياناً، ويعلي من الجرس الموسيقي الانفعالي، كما في قوله مفتخراً بمكانة العشيرة وصفاتها: (**أجودهم حصاناً...أكثرهم دروعاً...أمضاهم إذا طعنوا سناناً...أبينهم إذا نطقوا لساناً**)، **أو في قوله مفتخراً بها يوم حنين: (من أمامه.. من حواليه... من أهضامه/ قاتل المسلم عن إسلامه...قاتل الحرمي عن إحرامه**).

ويأخذ تكرار الجملة في أحيان أخرى طابع التضاد، الذي يسعى إظهار صراع الذات وتفاعلها مع الحدث؛ كما في قوله: (**خيل اللات..خيل محمد/ يروح به ويغدو جبرئيل**). أو طابع التكرار التأكيدي للعبارة حين يقول: (**حق لتلك مرزية...وحق لها أن تطير.../ لا يخون ولا يحول/ لا تحول ولاتزول/ إن جزعت...وإن لم تجزعي**).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث تم التوصل إلى بعض النقاط حول أهمية منهج التخريج في الشعر والأدب، وكذلك تم الخروج ببعض التصورات حول القيمة الفنية والموضوعية لشعر أبي سفيان بن الحارث، وهو ما يمكن بلورته في النقاط الآتية:

– أن منهج التخريج يعد نقلة نوعية داخل علم التحقيق، حيث وسع أفقه ليتجاوز مرحلة الكتاب المخطوط الجاهز، ليصل إلى مرحلة التنقيب عن المتون الضائعة والمتناثرة، في كتب التراث وإعادتها إلى الحياة من جديد، بعد عصور من التجاهل الذي يمكن أن ينسب إلى غياب التطور المنهجي أكثر من كونه مقصوداً لذاته.

– ومن بين الأمور المهمة التي كشفها منهج التخريج هو إمكانية الاستفادة منه في تخريج بقية فروع الأدب؛ كالسرديات، وأخبار الأدب، وتطور اللغة، وأساليب الكتابة، ومن ثم الوصول إلى الفائدة المثلى ممثلة في الموازنة بين تلك المتون في أكثر من مصدر، وأكثر من بيئة مكانية وثقافية، إنه يجسد إمكانية الإطلاع على التنوع داخل السياق الواحد.

– كشفت القراءة النصية في بعديها الموضوعي والفني عن خاصية مهمة في شعر أبي سفيان بن الحارث ربما تكون معياراً لفهم شعر قبيلة قريش برمته، وتتمثل هذه الخاصية في أن الوضع الذي وسم قبيلة قريش بانتسابها إلى الدائرة الدينية، التي بدأت قبل الإسلام وترسخت بعد ظهور الإسلام أدت إلى تأثير واضح على نمط القضايا التي تعرض لها شعر قبيلة قريش، ففي نموذجه عند أبي سفيان بن الحارث سيطرت القضايا ذات البعد النفسي الخاص: (الرثاء– الفخر– الاعتذار– الهجاء). فهذه الموضوعات ذات طبيعة انفعالية تؤثر في الناحية الفنية التي تضمر أمام الصوت التقريري المباشر؛ بمعنى أن ندرة الموضوعات والقضايا ذات البعد التأملي الذاتي العاطفي أو الوجودي: (الغزل– الرحلة– الوصف) أدت إلى غياب نماذج للسياقات التي يمكن فيها الحكم على الجانب الفني وتحديداً التصويري.

– والسؤال المعلق هنا هل غاب هذا النوع من الشعر لطبيعة الظروف المرحلية التي عاشتها قبيلة قريش، ليكون شعر القبيلة منتمياً إلى البيئة التي أنتجته والتي كان يتعاطى معها؟. (خليف، 1998م) أم هل أسقط من قبل الكتاب والرواة تماشياً مع طبيعة المرحلة التي عاشتها قبيلة قريش منذ ظهور الدعوة وحتي ترسخ الحكم الوراثي في أحد فروع هذه القبيلة؛ ممثلاً في الدولة الأموية ؟.

المصادر والمراجع

- الأبشيهي، ب. (1999م). *المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق:* إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر.
- ابن الأثير، ع. 1965م، *الكامل في التاريخ*، بيروت، دار صادر.
- ابن الأثير، ع. 1994م، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن إسحاق، أ. 1999م، *السيرة النبوية*، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، بدوي طه بدوي، القاهرة، قطاع الثقافة في دار أخبار اليوم.

- ابن حجر، أ. 2008م، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عبدالله التركي، وعبدالسند يمامة، القاهرة، مركز البحوث والدراسات العربية.
- ابن دريد، أ. 1979م، *الاشتقاق*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بغداد، مكتبة المثنى.
- ابن دريد، أ. 1987م، *جمهرة اللغة*، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين.
- ابن سعد، م. 1960م، *الطبقات الكبرى*، بيروت، دار صادر.
- ابن سيد الناس، م. 1982م، *عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير*، تحقيق: لجنة إحياء التراث، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- ابن عبدالبر، ي. د.ت، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.
- ابن عساكر، أ. 1996م، *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق: محب الدين العمروي، بيروت، دار الفكر.
- ابن كثير، ع. 1978م، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة.
- ابن كثير، ع. 1985م، *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد أبو ملحم، وعلي نجيب عطوي، وعلي عبد الساتر، بيروت،دار الكتب العلمية.
- ابن هشام، ع. 1998م، *السيرة النبوية*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وفتحي عبدالرحمن حجازي، الرياض، مكتبة العبيكان.
- اسليم، ف. 1997م، *شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام*، دمشق، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع.
- الأصبهاني، أ. 1985م، *الزهرة*، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الزرقاء، مكتبة المنار.
- البخاري، م. 1980م، *صحيح البخاري*، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- البصري، ع. 1999م، *الحماسة البصرية*، تحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي.

- البلاذري، أ. د.ت، *جمل من أنساب الأشراف*، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
- البيهقي، أ. 1985م، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- التادلي، أ. 1991م، *الحماسة المغربية*، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر.
- الجبوري، أ. 1995م، *شعر قريش في الجاهلية*، (رسالة ماجستير- قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة اليرموك- الأردن).
- الجمحي، م. د.ت، *طبقات فحول الشعراء*، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.
- الحموي، ي. 1977م، *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر.
- خليف، م. 1998م، *بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي*، د.م، دار قباء للطباعة والنشر.
- الدمشقي، ش. 2002م، *سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم*، تحقيق: صالح يوسف معتوق، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.
- الذهبي، م. 1982م، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، بيروت،- مؤسسة الرسالة.
- الذهبي، م. 1990م، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي.
- رومية، و. 1979م، *الرحلة في القصيدة الجاهلية*، بيروت، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- الزركلي، خ. 1980، *الأعلام*، بيروت، دار العلم للملايين.
- السهيلي، أ. 1978م، *الروض الأنف*، تحقيق: طه عبد الرؤوف، بيروت، دار المعرفة.

- الشيباني، ع. 1982م، *حدائق الأنوار ومطالع الأسرار*، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، الدوحة، إدارة إحياء التراث الإسلامي.
- الطبري، م. 1997م، *تاريخ الأمم والملوك*، بيروت، دار الكتب العلمية.
- طليمات، غ، والأشقر، ع. 2007م، *الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة*، دمشق، دار الفكر.
- العسكري، ح. 1988م، *جمهرة الأمثال*، بيروت، دار الفكر.
- العسكري، ح. 1933م، *ديوان المعاني*، القاهرة، مكتبة القدسي.
- القسطلاني، أ. 1928م، *المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*، القاهرة، مطبعة الواثق بربه.
- المرزباني، م. 2005م، *معجم الشعراء*، تحقيق: فاروق اسليم، بيروت، دار صادر.
- الواقدي، م. د.ت، *المغازي*، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب.